الفصل الثالث

التحقيق العلمى الحديث لموضوع التجسد

obeikandl.com

obeikandl.com

إن موضوع التجسد أو العودة للحياة الأرضية مرة أخرى هو موضوع حيوى وغاية فى الأهمية حيث إنه تتوقف عليه الكثير من المفاهيم والمعتقدات الإنسانية الأساسية التى تشكل حياة الإنسان ومسار روحه قبل وبعد الموت، وقبل وبعد الميلاد. لقد كانت هذه الظاهرة تستند فى الماضى إلى مجرد الإعتقاد إثباتًا أو نفيًا، أو إلى محض الفلسفة النظرية أو المعتقدات الدينية البحتة كما سبق أن أوضحت فى الفصل الأول. أما الآن فقد تم إستنباط أسلوب البحث الوضعى العلمى الذى سيطر سيطرة تامة على الأوساط العلمية منذ عصر النهضة أو التنوير والذى فتح منافذ جديدة للبحث قائمة على أسلوب الملاحظة والتحليل، وعلى نطاق واسع حتى يتأتى تشييد النظريات المناسبة عليهما، وهى منافذ كانت مغلقة تمامًا فيما مضى.

ومما لا شك فيه أيضًا أن البحث العلمى الحديث فى الخلود وفى الظواهر الروحية بأساليب علمية وضعية هو الذى يرجع إليه الفضل الأول فى تجميع الوقائع، وبالتالى فى توسيع رقعة البحث، مع إخضاعها فى النهاية للتحليل المنطقى الموضوعى. ولذا إزدهرت تحقيقات العودة للتجسد عن طريق البحث فى الظواهر غير المألوفة وذلك بالنظر للصلة الوثيقة بين هذه الظواهر وبين محاولة القاء أضواء لها قيمتها على التكوين الحقيقى للإنسان وبالتالى على قدره ومصيره، بما فى ذلك إحتمال عودته للتجسد، ولو كمجرد افتراض علمى لا ينبغى قبوله ولا رفضه مسبقًا ما لم تعززه الوقائع الثابتة ويبرره تحليلها تحليلًا صحيحًا.

لقد أشارت الشعوب القديمة المختلفة كما سبق أن ذكرت فى الفصل الأول

إلى ظاهرة التجسد على إنها عملية إنتقال الروح من جسد متوفى إلى جسد آخر حديث الولادة. وقالوا أن هذه الروح هى أذلية لا تموت ولا تتلاشى، بل تنتقل عبر الأجيال المتتالية من كائن لآخر. أما المرحلة الأخيرة التى تنتهى إليها هذه الروح بعد رحلتها الطويلة عبر الزمن، فيختلف تحديدها أو تعريفها عند الشعوب والديانات التى تعتقد بهذه الظاهرة.

وبما أننا نتناول هذه الظاهرة فى هذا الفصل بالإعتماد على الحقائق العلمية الملموسة، وليس التعاليم الفلسفية والدينية المختلفة، فسوف نتعرف عليها من خلال الدراسات العلمية الحديثة بالإضافة إلى مظاهرها المختلفة التى قامت المراجع العصرية بتوثيقها. بداية، سوف نعتمد على مظهرين مختلفين يشيران إلى هذه الحقيقة: الذاكرة الإسترجاعية التى يتم إستنباضها بواسطة التنويم المغناطيسى، والذاكرة العفوية التى تظهر بشكل تلقائى عند الشخص فى مراحل حياته الأولى.

الذاكرة الإسترجاعية

تتجسد الذاكرة الإسترجاعية اثناء النوم المغناطيسى، يطلب فيها من النائم مغناطيسيًا أن يعود إلى مراحل زمنية تسبق مرحلة طفولته، إلى زمن ما قبل الولادة! وقد سبق لى شرح طريقة العلاج بالتنويم المغناطيسى والعلاج الإيحائى فى الفصل السادس من كتابى المعنون: «الطاقة الحيوية والشفاء الذاتى». إنه يحدث فى أحيان كثيرة أن يبدأ المنوم مغناطيسيًا بالحديث عن حياة مختلفة سبقت حياته الحالية! ويروى طريقة موته وكيف فارق حياته السابقة!

الأسباب التى تدفعنا إلى إعتبار هذه العملية بمثابة دليل موثوق

ساعدت عملية التنويم المغناطيسى الأطباء النفسيين على علاج أمراض نفسية كثيرة عن طريق العودة إلى مرحلة قبل الولادة وتحديد الأسباب التى أدت إلى هذا المرض. (انظر كتاب المؤلف الطاقة الحيوية والشفاء الذاتى).

فى بعض الحالات، يقوم الشخص الذى يظهر ذاكرة إسترجاعية بتكلم لغات غريبة عنه وعن البيئة التى عاش فيها ولم يتعلمها فى حياته.

فى حالات كثيرة، يقوم الشخص بتذكر تفاصيل دقيقة عن حياة سابقة أدهشت الباحثين بعد أن تحققوا من مدى صحتها على أرض الواقع. (أبحاث د. أيان ستيفينسون التى ذكرتها فى الفصل السابق).

فى الخمسينات من القرن الماضى، لاقت ظاهرة الذاكرة الإسترجاعية القبول بين جهات علمية كثيرة، لإنها أثبتت واقعيتها ودورها فى مساعدة المرضى على الشفاء من الحالات النفسية المختلفة. وقد أثبت هذه الحقيقة أطباء معروفين بأنهم كانوا متشككين فى البداية لكنهم إعترفوا بها فيما بعد.

آراء الأطباء والعلماء فى المرحلة الحديثة عن التجسد

كتب الدكتور «إلكسندر كانون»، الذى كان من المتشككين فى البداية ثم بدل رأيه فيما بعد قائلًا: «لمدة سنوات طويلة، كانت نظرية التقمص والتجسد تعتبر كابوسًا بالنسبة إلى، وعملت جاهدًا من أجل دحضها وتكذيبها، لكن بعد مرور السنين، وبعد التحقيق فى الآف القضايا والحالات المختلفة، من ديانات مختلفة، وشعوب مختلفة، وجب على الإعتراف بأن ظاهرة التقمص موجودة»...

تم الإعتراف بهذه الظاهرة من قبل الكثير من علماء النفس حول العالم، بعد إكتشاف مدى واقعيتها. الطبيب النفسى «جيرالد ادلستاين» مثلًا، وهو علمانى متشكك، ويقول: «تعمل هذه الحالات (العودة بالذاكرة إلى حياة سابقة)، ولأسباب نجهلها على تسريع عملية الشفاء عند المرضى النفسيين»...

الطبيب النفسى الشهير، الدكتور «أديث فايور» يقول: «إذا إزالة حالة الخوف المرضى (الفوبيا) نهائيًا من المريض، عن طريق العودة بذاكرته إلى حياة سابقة، هذا يعنى أن الأحداث المسببة لهذا المرض النفسى قد حدثت فعلًا فى حياة سابقة!»..

الطبيب النفسى «جيرالد نثرتون»، المعروف بتعصبه العلمانى الشديد، قام بإستخدام طريقة الذاكرة الإسترجاعية لعلاج ٨٠٠٠ مريض نفسى. وكان متشكك جدًا فى البداية، لكنه الآن مقتنع تمامًا بهذه الظاهرة نتيجة تجاربه العديدة. وهناك بين مرضاه النفسيين الكثير من المتشككين (رجال دين وفيزيائيين علمانيين)، لكن هذا لم يمنع هذه الوسيلة من النجاح اثناء تطبيقها عليهم. يقول الدكتور «جيرالد»: «يغادر عيادتى الكثير من المرضى وهم مقتنعون بأن هذه الذاكرة الإسترجاعية هى ليست سوى مجموع تجاربهم المتراكمة من حياتهم الحالية وليس لها علاقة بحياة سابقة. لكن ما هو الجواب المنطقى لسبب شفائهم؟ الجواب أن التقمص والتجسد موجود فعلًا!!».

الطبيب النفسى البريطانى الدكتور «ارثر جيردهام»، يعترف بأنه كان فى البداية علمانيًا متطرفًا ومن أشد المتشككين بهذه الظاهرة، لكن بعد خبرته الطويلة فى مجال الذاكرة الإسترجاعية (مدة ٤٤ عام)، صرح بمايلى: «إذا لم اعتقد بظاهرة التقمص بعد كل الإثباتات التى تعاملت معها طوال هذه الفترة، سوف أعتبر نفسى مختل عقليًا!».

قامت الطبيبة المتشككة «هيلين وامباش» بدراسة موسعة فى عام ١٩٧٥م، فى سبيل التحقق من مدى مصداقية هذه الظاهرة، وبعد دراسة أكثر من ١٠٠٠ حالة مختلفة، خرجت بدلائل مدهشة تثبت حقيقة وجودها. وعلقت على هذا الإستنتاج قائلة: «انا لا اعتقد بظاهرة التقمص، لكننى واثقة بأنها موجودة مئة بالمئة!».

قد يندهش البعض عندما يعلم أن الأطباء النفسيين فى الاتحاد السوفيتى السابق كانوا يعالجون المرضى بالإستعانة بطريقة الذاكرة الإسترجاعية!. وأشهرهم هى الطبيبة الروسية «فارفارا إيفانوفا»، التى تتمتع بإحترام كبير فى الوسط الأكاديمى، وتعتبر أشهر المعالجين النفسيين الذين إستخدموا هذه الوسيلة فى روسيا.

أبحاث بيتر رامستر

أهم الأبحاث التى تم بحثها حول هذا الموضوع هى تلك الأبحاث التى أجراها الطبيب الباحث النفسى الأسترالى «بيتر رامستر» الذى قام بإنتاج أفلام وثائقية تظهر تفاصيل هذه الظاهرة، بالإضافة إلى كتابه الشهير الذى يحمل العنوان: (البحث عن أجيال سابقة ١٩٩٠م).

أشهر الأفلام الوثائقية التى أنتجها كان عبارة عن برنامج وثائقى تليفزيونى ظهر فى العام ١٩٨٣م، يتمحور حول أربعة سيدات استراليات متشككات. ولم يخرجن من الحدود الأسترالية أبدًا، لكن كل واحدة منهن عادت بذاكرتها إلى حياة سابقة، تحت تأثير التنويم المغناطيسى، وأعطت تفاصيل كثيرة عن تلك الحياة، ومن ثم تم نقل كل سيدة إلى المكان الذى أدعت بأنها عاشت فيه خلال فترة حياتها السابقة. ورافق السيدات فى هذه الجولة إلى انحاء متفرقة من العالم، فريق من المصورين، ولجنة شهود مؤلفة من شخصيات محترمة.

إحدى السيدات المذكورات هى «جوين مكدونالد»، كانت متشككة لدرجة التعصب قبل إخضاعها لوسيلة الذاكرة الإسترجاعية، وعادت إلى ذاكرتها تفاصيل دقيقة عن حياة ماضية عاشتها فى مقاطعة «سومرست» فى بريطانيا بين عامى ١٧٦٥ ـ ١٧٨٢م. وقد تم التحقق من جميع إدعاءاتها حول حياتها السابقة فى «سومرسيت» من الصعب الحصول عليها عن طريق الرجوع إلى كتاب أو مرجع تاريخى يخص تلك المنطقة. نذكر منها:

عندما أخذت إلى المنطقة التى حددتها فى مقاطعة سومرسيت البريطانية (ضاحية مدينة جلاست نبورى)، استطاعت وهى معصوبة العينين التجول فى المكان وكأنه مألوف لها. ومع العلم أن هذه السيدة لم تغادر أستراليا أبدًا.

ساعدت الفريق المرافق لها على إيجاد طرق مختصرة أقصر من تلك المرسومة على الخريطة التى كانوا يستعينون بها للتجول فى المكان.

تعرفت على موقع شلال مياه موجود فى المنطقة، وأشارت إلى مكان محدد فى مجرى الوادى حيث وجب أن يكون هناك صف من الحجارة يساعد الناس على إجتياز الوادى من جانب لآخر. وقد أيد المحليون هذا الكلام وقالوا أن هذه الحجارة قد أزيلت منذ حوالى أربعين عام!!

أشارت إلى نقطة تقاطع معينة وأدعت بأنه كان هناك خمسة منازل، وتم إثبات كلامها بعد الإستعلام من الأهالى. وقالوا أن البيوت قد دمرت قبل ثلاثين عام. وتم أيضًا إثبات صحة قولها بإن إحدى هذه المنازل كان مخزن للفاكهة.

عددت أسماء القرى المجاورة مستخدمة الأسماء التى عرفت قبل ٢٠٠ عام! مع أن هذه القرى لم تظهر على أى خريطة رسمية تمثل المنطقة، ومنها ما ظهر بأسماء مختلفة. لكن الأهالى أيدوا كلامها بأن القرى قد حملت تلك الأسماء فى إحدى الفترات التاريخية.

الأشخاص الذين إدعت بأنها كانت تعرفهم فى تلك الفترة، تم التأكيد على وجودهم من خلال العودة إلى السجلات الرسمية القديمة الخاصة بالمنطقة.

إستخدمت كلمات ومصطلحات وعبارات قديمة لم تعد تستخدم فى هذه الأيام وليست موجودة حتى فى المعاجم، لكن تم التأكد من صحتها عن طريق الأهالى.

قامت بتحديد موقع قديم لهرمين كانوا موجودان سابقًا فى مدينة «جلاستونبورى»، وإستبدلًا بكنيسة تم تشييدها بنفس الموقع.

عندما كانت فى استراليا قامت برسم المنزل الذى عاشت فيه خلال حياتها السابقة فى «سومرسيت» بإنجلترا ـ وقد ذكرت بأنه يبعد ٢٠ قدم من الوادى، وموجود فى وسط صف من خمسة منازل، يبعد نصف ميل عن الكنيسة. وبعد التحقق من هذا الكلام تبين صحة ما قالته. أما تفاصيل المنزل من الداخل، فكانت مطابقة للرسومات التى رسمتها اثناء وجودها فى استراليا.

قامت بوصف «نزل» موجود فى الطريق المؤدى إلى منزلها وقد وجدوه فى المكان الموصوف.

تمكنت من إرشاد الفريق المرافق إلى موقع ذلك المنزل الذى تبين أنه قد تحول إلى حظيرة دجاج. ولم يكن أحد يعلم ماذا كان تحت أرضية ذلك المنزل، لكن بعد تنظيف تلك الأرضية وجدوا الحجر المنقوش الذى رسمته اثناء وجودها فى استراليا.

اثناء وجودها فى مدينة «جلاستونبورى» مع الفريق المرافق، راح المحليون يسألونها اسئلة تعجيزية كثيرة عن أحداث تاريخية حصلت فى المدينة خلال فترة حياتها السابقة، لكنها أجابت عليها جميعًا دون أى خطأ فى سرد الوقائع.

كانت «سينثيا هاندرسون» من بين النساء اللواتى خضعن لدراسة «بيتر رامستر»، وإسترجعت إلى ذاكرتها حياة سابقة تعود إلى فترة الثورة الفرنسية. وأثناء نومها المغناطيسى تمكنت من إظهار مايلى:

تكلمت باللغة الفرنسية بطلاقة.

فهمت جميع الأسئلة التى وجهت إليها باللغة الفرنسية وأجابت عليها بالفرنسية.

قامت بإستخدام اللهجة الفرنسية المحلية التى كانت سائدة فى تلك الفترة.

عددت أسماء شوارع وأماكن عامة مختلفة، مع أن تلك الأسماء قد تغيرت وليس لها وجود سوى على الخرائط الفرنسية القديمة.

فى حوزة الدكتور «بيتر رامستر» الكثير من الحالات الموثقة الأخرى وجميعها مثبتة ومصدقة بطرق وأساليب يستحيل تزويرها والتلاعب بتفاصيلها.

عودة الذاكرة بشكل عفوى

نالت القضية التى سميت بحالة السيدة «شانتى ديفى» والتى سبق أن ذكرتها

فى الفصل السابق فى ابحاث الدكتور «ستيفينسون» شهرة عالمية، وإعتبرت من إحدى الحالات المثيرة للدهشة. وسوف أعيد ملخصها هنا مرة أخرى نظرًا لأهميتها.

لقد حدثت فى الهند عام ١٩٣٠م، قبل قيام الدكتور ستيفينسون بأبحاثة بمدة طويلة. لكنه أعاد مراجعتها من خلال السجلات والمراجع الموثقة رسميًا. وصرح بعدها بأن الفتاة «شانتى ديفى» قد إدعت فعلًا بأربعة وعشرين لإفادة صحيحة بالإعتماد على ذاكرتها وكانت مطابقة تمامًا للواقع.

ففى العام ١٩٣٠م، كانت شانتى ديفى فى سن الرابعة من عمرها عندما بدأت تتذكر تفاصيل محددة عن أنواع من الثياب، والأطعمة والأشخاص والأماكن، مما أثار فضول والديها. وبإختصار، قامت الفتاة بذكر التفاصيل التالية التى تم التحقق منها فيما بعد وتم إثبات صدق ما قالته تمامًا:

عرفت عن نفسها بأنها «لودجى»، أمرأة عاشت فى «موترا» التى تبعد عن مكانها الحالى بحوالى ١٢٨ كم.

تكلمت باللغة المحلية التابعة لتلك المنطقة دون أن تتعلمها فى حياتها الحالية.

إدعت إنها أنجبت ولدًا ومات بعد عشرة أيام من ولادته (وقد ثبت أن هذا حدث فعلًا مع لودجى).

عندما تم أخذها إلى موترا، تعرفت على زوجها فى حياتها السابقة وكان يدعى «كيدارناث»، وتكلمت عن أشياء كثيرة فعلوها سويًا دون معرفة أحد بها.

تمكنت من التعرف على نقاط وأماكن عديدة حول مكان إقامتها السابق. وقد إهتدت إلى منزلها السابق بنفسها دون إرشاد من أحد.

تمكنت من التحديد بدقة، كيف كان وضع الأثاث المنزلى أثناء وجودها فى حياتها السابقة.

تمكنت من تحديد مكان ١٥٠ روبية (العملة الهندية) فى إحدى زوايا المنزل. وكانت تحتفظ بهذا المال من أجل الأيام العسيرة.

تمكنت من التعرف على والديها السابقين من بين جمهور غفير.

أحدثت هذه القضية ضجة كبيرة فى حينها مما دفع الحكومة الهندية إلى تشكيل لجنة مؤلفة من رجال بارزين، كان من بينهم سياسى بارز، محامى، مدير دار نشر، فى سبيل التحقيق بتفاصيل هذه الرواية المدهشة. وخرجت اللجنة مقتنعة تمامًا حيث تأكدوا من أن «شانتى ديفى» قد تمكنت من معرفة أشياء وتفاصيل كثيرة لا يمكن الحصول عليها عن طريق الخداع أو وسيلة ملتوية أخرى. وجميعهم أجمعوا على أن الوقائع بمجملها تشير إلى حقيقة واضحة، وهى ظاهرة التجسد.

لقد نالت هذه القضية بالذات شهرة عالمية وجذبت إنتباه الكثير من علماء الإجتماع والكتاب مثل: الكاتب السويدى «ستور لونر ستراند»، الذى سافر فى الخمسينات إلى الهند وقابل «شانتى ديفى» من أجل البحث فى هذه الظاهرة بنفسه وخرج بإستنتاج فحواه أن «شانتى» قد تقمصت فعلًا، وإستبعد أى تفسير آخر تعتمد عليه هذه القضية. (إن ظاهرة التقمص مألوفة فى الهند ومعروفة بين شعوبها المختلفة، لكن هذه القضية بالذات نالت إهتمام الصحافة والإعلام مما جعلها قضية عالمية ذات أهمية كبيرة).

قضية الدكتور «أرثر جيردهام» والسيدة «سميث»

قضية أخرى من إنجلترا أقنعت الكثير من الخبراء، بما فيهم الدكتور «أرثر جيردهام»، تتمحور حول ربة منزل عادية كانت تعانى من كوابيس وأحلام

مزعجة أثناء نومها. فكانت ترى نفسها وهى تتعرض للحرق بالنار الملتهبة فى ساحة عامة أمام الناس. وقد أعطت هذه السيدة الدكتور «جيردهام» نسخ عن بعض الرسومات ومقاطع أغنيات كانت قد كتبتها فى طفولتها بشكل تلقائى دون تحضير مسبق! وقام أخصائيون باللغة الفرنسية القديمة بالتعرف على كلمات تلك الأغنيات وإستنتجوا بأنها تنتمى إلى لغة كانت سائدة فى جنوب فرنسا بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد.

وقد اذهلت خبراء التاريخ بمعرفتها الدقيقة لحياة شعب «الكاثار» (شعب يتبع مذهب مسيحى تم إبادته تمامًا على يد الكنيسة فى روما، وكانوا يعيشون فى جنوب فرنسا). وتلفظت بأغانى تحتوى على كلمات لا يعرفها أى مؤرخ. وتم الإستعلام عنها فقط عن طريق العودة إلى مراجع قديمة جدًا. وكانت تعلم بحقائق تاريخية مفصلة لا يعلم بها أحد فى عصرنا. وتم التحقق منها بعد بذل جهد كبير فى البحث والمتابعة، فوجدوا إنها صدقت فى وصف التالى:

رسوماتها كانت مطابقة للعملات النقدية الفرنسية القديمة، بالإضافة إلى الثياب والحلى وتصميم المبانى والمنازل فى تلك الفترة.

تفاصيل دقيقة عن طريقة الحياة الإجتماعية السائدة فى حينها، وطريقة تعامل الأهالى مع بعضهم البعض (هذه التفاصيل لم تظهر فى كتب تاريخية خاصة بهذا الشعب المغضوب عليه كنسيًا، حيث إن المراجع التاريخية لم تصنفهم أبدًا. فإضطر الخبراء للعودة إلى المراجع الكنسية التى سادت فى حينها، أى المراجع المزورة والمحرفة والتى وصفت هذا الشعب على أنه من أتباع الشيطان وإناسه هم كفرة مهرطقين. لكن الخبراء عملوا على إستخراج المعلومات عن حياة ذلك الشعب وطريقة عيشه من بين سطور تلك النصوص المحرفة).

صدقت فى وصف الطريقة الوحشية التى كان يعامل بها السجناء الدينيين، وكيف كانوا يسجنون فوق بعضهم البعض فى الأقبية التابعة للكنائس.

صدقت فى وصف الملابس التى كانت سائدة بين شعب الكاثار بالإضافة إلى طقوسهم وشعائرهم المختلفة.

تأثر البروفيسور البريطانى الشهير «نيلى» (وهو عالم بريطانى ذو سلطة علمية واسعة فى الأوساط العلمية العالمية) بهذه القضية، ونصح بأنه عندما يحدث تناقض بين المراجع التاريخية وكلام أصحاب الذاكرة الإسترجاعية، وجب تصديق الفريق الأخير، لأنه يبدو كما قال أنهم أصدق من المراجع التاريخية المزورة.. قام الدكتور «جيردهام» بإكتشاف عدة أشخاص عادت ذاكرتهم إلى تلك الفترة الزمنية (بين القرن الثانى والثالث عشر الميلادى)، وقد وثق أقوالهم فى كتاب عنوانه: (التقمص وشعب الكاثار). هذا الشعب المسيحى الذى تم إبادته بالكامل على يد الكنيسة فى القرن الثالث عشر.

تحول الدكتور «جيردهام» من موقع المتشكك إلى موقع المؤمن بظاهرة التقمص، وتعرضت سمعته الأكاديمية للخطر، خاصة بعد قيامه بإلقاء العديد من المحاضرات بين زملائه فى المجتمع الطبى البريطانى، والتى تتناول موضوع «التقمص وممارسة الطب العلاجى».

الدكتور «إيان ستيفينسون» وأبحاثه

لقد سبق أن ذكرت ملخصًا عن الدكتور إيان ستيفينسون وأبحاثه فى الفصل السابق كمثل فريد لحالات التجسد والأبحاث التى أجريت بصددها وذلك نظرًا لدقتها ووضوحها وأدلتها العلمية القوية. وسوف أقوم هنا بالإسترسال بتفاصيل علمية أكثر عن هذا الباحث والعالم الفذ فى مجال التجسد، وذلك لأن الدراسات والبحوث العلمية التى قام بها الدكتور «إيان ستيفينسون»، البروفيسور فى علم النفس بجامعة فيرجينيا الطبية، حول موضوع التجسد والتقمص، كانت الأكثر روعة ووقعًا على النفوس خاصة أنه إعتمد على ظاهرة الإسترجاع العفوى للذاكرة.

فقد أمضى كما سبق أن عرضت سنوات عديدة فى البحث، مستخدمًا أساليب علمية بحتة فى التحقيق مع أكثر من أربعة الآف طفل فى الولايات المتحدة، بريطانيا، تايلاند، بورما، تركيا، لبنان، كندا، الهند، ومناطق أخرى من

العالم. وقد قام بالتحقيق والبحث فى إدعاءات هؤلاء الأطفال عن طريق دراسة وتحليل رسائل وسجلات طبية تشريحية وشهادات ولادة وشهادات وفاة وسجلات مستشفيات وصور فوتوغرافية ومقالات صحفية وغيرها من مراجع ووثائق يمكن العودة إليها خلال دراسة الحالات الخاضعة للبحث.

كانت العودة إلى التقارير الطبية مهمة لدراسته، خاصة إذا إدعى أحد الأطفال بأنه قد تعرض للقتل فى حياته السابقة. ولاحظ ستيفينسون ظهور وحمات أو وشمات فى جسم بعض الأطفال الذين تعرضوا فى حياتهم السابقة للقتل العنيف. ويتصادف دائمًا وجود هذه العلامات على أجسامهم فى نفس مكان غرس السكين أو الرصاصة أو غيرها من مسببات القتل.

إحدى الأمثلة المستخلصة من دراسات الدكتور ستيفينسون حول الوشمات الجسدية. تجلت قضية الطفل «رافى شنكار» الذى تذكر كيف قطع رأسه عندما كان ولدًا صغيرًا على يد أحد أقربائه الذى كان يأمل بوراثة ثروة أبيه. وقد ولد «رافى» فى حياته الحالية مع وجود علامة فارقة تحيط برقبته. وبعد التحقق من صدق الرواية، تبين أن الفتى كان صادقًا فى كل ما إدعاه. فقد تم قتل أحد الأطفال فعلًا بهذه الطريقة، بنفس المنطقة والعائلة التى أشار إليها «رافى».

قضية أخرى تتناول ظاهرة الوشم على الجسد، تتمحور حول فتى من تركيا، تذكر بأنه كان فى حياته السابقة لصًا، وكان محاصرًا دائمًا من قبل رجال الشرطة عندما أقدم على الإنتحار، كى يتجنب الوقوع فى أيدى السلطات. فوضع فوهة البندقية تحت ذقنه من جهة اليمين وضغط على الزناد. وتبين أن الفتى الذى ولد فيما بعد لديه علامة فارقة تحت ذقنه فى نفس الجهة اليمنى! وتبين أيضًا وجود علامة أخرى على رأسه (مكان خروج الرصاصة).

قضية «مارتا لورينز»

إحدى القضايا المثيرة التى بحثها الدكتور «ستيفينسون» كانت تخص فتاة من البرازيل تدعى «مارتا لورينز»، التى عندما كانت فى سنها الأولى من عمرها،

تمكنت من التعرف على أحد أصدقاء والديها، وأشارت إليه بعبارة «هاللو بابا» أى «مرحبًا والدى»! وعندما أصبحت فى سن الثانية من عمرها، راحت تتكلم عن تفاصيل كثيرة تتعلق بحياتها السابقة، والتى صادف بأنها كانت خلالها صديقة حميمة لوالدتها الحالية، وابنتة الرجل الذى هو صديق والديها الحاليين (الذى نادته بابا). والكثير من التفاصيل التى تحدثت عنها لم تكن معروفة من قبل والدتها الحالية، وإضطروا إلى التحقق من مدى صدق ما تقوله بالإستعانة بأشخاص آخرين يعرفون الفتاة فى حياتها السابقة، وقد وجدوا أن كل ما إدعته صحيحًا. وقد إستطاعت هذه الفتاة أن تتذكر ١٢٠ حقيقة أو حادثة أو موقف حدث لها فى حياتها السابقة. وقد كان إسمها فى حياتها السابقة «ماريا دى أوليفيرا» صديقة والدتها الحالية. هذه الصديقة قالت لوالدة الفتاة اثناء موتها على سرير المرض بأنها سوف تخلق عندها وتصبح ابنتها!

قضية عماد الأعور

ذهب دكتور «ستيفينسون» إلى لبنان، وتحديدًا إلى إحدى القرى الدرزية، وكانت زيارته فجائية وغير معلنة حتى يتفادى عملية التحضير المسبق لرواية خيالية أو غيرها من أساليب تعمل على طمس الحقيقة. فلهذا السبب، قرر أن يزور إحدى تلك القرى بشكل عشوائى دون تحديد مسبق لأى ميعاد أو مكان معين. بعد أن وصل إلى إحدى القرى طلب من الأهالى أن يرشدوه إلى أحد المنازل الذى تجسد فيه ظاهرة التقمص مؤخرًا. فدلوه إلى بيت الفتى الذى يبلغ من العمر خمس سنوات وكان اسمه «عماد الأعور».

بدأ هذا الفتى بالحديث عن حياته السابقة منذ أن كان فى السنة الأولى من عمره. وكان يشير دائمًا فى كلامه إلى قرية أخرى تبعد ٢٥ ميل عن قريته. فى السنة الأولى من عمره، كان يتلفظ بأسماء مثل «جميلة» و«محمود»، وغيرها من أسماء. وفى السنة الثانية من عمره، قام بالتعرض لأحد المارين فى الشارع وتعرف عليه بأنه أحد جيرانه فى الحياة السابقة. وبعد أن قابله د/ ستيفينسون، أخذه إلى تلك القرية التى كان يذكرها دائمًا فى كلامه، فتعرف على المنزل الذى

كان يعيش فيه، وتمكن من التعرف على عمه وكان اسمه «محمود» من خلال الإشارة إليه فى الصور الفوتوغرافية، وكذلك زوجته «جميلة»، بالإضافة إلى أشخاص كثيرين عرفهم فى حياته السابقة. وقد تعرف أيضًا على المكان الذى خبأ فيه بندقيته، وهذا كان سرًا لا يعرفه أحد سوى والدته. وتذكر كيف كان موضع السرير أثناء مرضه الأخير قبل وفاته.

وقد قام بالتعرف على أحد الغرباء فى الشارع، وبعد فترة من الحديث معه، تبين أنه كان زميله فى الخدمة العسكرية، وراحا يتذكران معًا بعض الأحداث التى حدثت لهم اثناء تأديتهم للخدمة العسكرية معًا.

وقد خرج الدكتور ستيفينسون بعد دراسة هذه الحالة بوجود ٥٧ إدعاء من قبل الطفل، وتم التحقق من ٥١ إدعاء بشكل صحيح، أما الإدعائيين الباقيين، يبدو أن الشهود كانوا غائبين مما جعل الدكتور ستيفينسون ينحيها جانبًا. وقد تعرض الدكتور ستيفينسون لإنتقادات شديدة من جهات علمية مختلفة بسبب أبحاثه التى تناولت هذا الموضوع. وأصبحت سمعته الأكاديمية والإجتماعية على المحك، خاصة عندما بدأ بنشر مقاطع من أبحاثه فى مقالات تابعة لمجلات علمية مختلفة مثل: مجلة الأمراض النفسية والعصبية (١٩٧٧م)، والمجلة العلمية الأمريكية للعلاج النفسى (١٩٧٩م)، وألف عدة كتب ومجلدات حول هذا الموضوع. وكلما نشر إحدى هذه المؤلفات زادت التفاصيل وزادت قوة الحجج والبراهين، وأصبحت الحقيقة تتضح أكثر بعد كل عمل جديد ينشره.

العودة للتجسد بين الباراسيكولوجى والسيكوترونات

إن البحث الحديث فى الخلود فى الظواهر الروحية بأساليب وضعية هو الذى يرجع إليه الفضل الأول فى تجميع الوقائع والأحداث والقضايا السابق بحثها من العلماء والباحثين الذين سبق أن ذكرتهم، وبالتالى فى توسيع رقعة البحث، مع إخضاعها فى النهاية للتحليل المنطقى الموضوعى. ولذا إزدهرت تحقيقات العودة للتجسد حسب الدراسة التى قام بها الباحث دكتور رؤوف

عبيد فى كتابه عن التجسد، والتى أظهرت الإزدهار العلمى للأبحاث الخاصة بالتجسد مؤخرًا عن طريق البحث فى الظواهر غير المألوفة وذلك بالنظر إلى الصلة الوثيقة بين هذه الظواهر وبين محاولة القاء اضواء لها قيمتها على التكوين الحقيقى للإنسان وبالتالى على قدره ومصيره، بما فى ذلك إحتمال عودته للتجسد، ولو كمجرد إفتراض علمى لا ينبغى قبوله ولا رفضه مسبقًا ما لم تعززه الوقائع الثابتة ويبرره تحليلها تحليلًا صحيحًا.

وإستعراضًا للتطور العلمى فى مجال البحث الروحى، فقد تطور هذا البحث من نطاق «الباراسيكولوجى» ـ الذى هو مجرد إمتداد وتعميق للبحوث النفسية الخالصة ـ بنقلها إلى إطار آخر جديد هو نطاق البحث فى الظواهر غير المألوفة. ثم تطور إلى نطاق آخر أحدث منه وهو تعميق هذه البحوث الجديدة وربطها ـ على أوسع مدى ممكن ـ بحقائق الفيزياء والرياضة الحديثة. وهذا النطاق الأخير هو موضوع «السيكوترونات» أى علم النشاط النووى الروحى، والذى يلقى إهتمامًا متزايدًا فى روسيا، وفى بعض دول أوروبا الشرقية بوجه عام، حيث توجد الآن فى روسيا أكثر من ثلاثة عشر جامعة معنية ببحوث الظواهر غير المألوفة تقابلها أكثر من مائتى جامعة فى دول الغرب نظمت بالفعل مناهج حديثة وبرامج علمية للدراسات الوضعية للبحث فى هذه الظواهر نفسها، رغم ما تقتضيه هذه الدراسات من نفقات باهظة ومشقه بالغة.

لكن لا ريب فى أن أبحاث «العودة للتجسد» كما يذكر الباحث السابق، تعد أقرب إلى موضوع «البارسيكولوجى» أو «ما وراء الروح» منها إلى موضوع السيكوترونات. ولقد نجحت هذه البحوث الوضعية فى ظواهر «العودة للتجسد» فى تقديم العديد من الأدلة والشواهد القوية إلى الدوائر العلمية. إلا أن نجاحها الأقوى كان وما يزال فى تحليل هذه الظواهر، وتأصيلها العلمى خصوصًا عند معالجتها من ناحية صلتها بأنوار الذاكرة الإنسانية، وإرتباطها بشتى مناحى الشعور واللاشعور التى تعد الأصل فى تحليل كل ما يتصل بالتكوين الروحى للإنسان.

الأبحاث العلمية الخاصة بدراسة الصلة بين العودة للتجسد وظواهر التجسدات

إن ظاهرة تجسد الأرواح هى أخطر الظواهر الفيزيقية وأندرها والتى حاول العلم الحديث دراستها بإستفاضة. فقد حققها علماء كبار فى دول عديدة، وتحققوا منها بإخضاع الروح المتجسدة مؤقتًا لفحوص طبية دقيقة، وبتصوير الروح المتجسدة فى أوضاع تنتفى فيها إحتمالات الوهم أو الخداع، أو الإيحاء الفردى أو الجماعى. وكان ذلك فى عدة بلاد منها إنجلترا، وفرنسا، والدانمارك، وأمريكا، وإيطاليا، وكندا، والبرازيل وغيرهما.

لقد اشارت هذه الأبحاث والتى تم إثباتها بصور فوتوغرافية بكاميرات خاصة، وتم توثيقها بطريقة علمية (سوف أعرض بعضًا من هذه الصور فى ملحق الصور فى نهاية الكتاب)، إلى مدى إحتفاظ الإنسان بملامحه الخارجية حتى بعد ما يغادر عالم المادة إلى عالم ما وراء المادة. وكأن ملامح الإنسان محفورة فى ذاكرته، أو بالأدق هى راسخة فى وعيه أو شعوره الخاص، لا تريد أن تترك الذاكرة والوعى كالعديد من المواهب والملكات أو الذكريات.

وهى لا تترك الذاكرة حتى بعد العودة للتجسد (لإن لها جذورها الثابتة فى وعى صاحبها) كما يتضح من الصور التى سوف يتم عرضها لاحقًا. وإن كان ثمة تغير فى هذه الملامح فهو تغيير محدود المدى كأنه يريد على أية حال أن يحافظ على ملامحة من الضياع فى غمرة التجسد أو العودة للتجسد فى جسد آخر جديد. ولقد أشرف البروفيسور وليام ماكدوجال W.Mc Dougall على بعض تجارب تطور تجسد الروح وهو من أبرز علماء الطب النفسى فى القرن السابق. وكانت مشاهداته سببًا فى إنشاء قسم خاص للباراسيكولوجى بجامعة ديوك Duke بالولايات المتحدة الأمريكية وهذه التجارب العلمية الهامة حسمت فى نظر لفيف من كبار العلماء المتخصصين مشكلة دوام الحياة بعد موت الجسد العضوى. كما حسمتها أيضًا إختبارات صنع نماذج من الشمع المجوف لتجسدات الأيدى والأقدام لبعض الأرواح.

النتائج الهامة التى توصل إليها الباحثون فى مجال التجسد

لقد إستنتج العلماء بعد إجراء الآلآف من الأبحاث العلمية الدقيقة عن هذه الظاهرة أن ظواهر التجسد تحدث فى كل مكان، لكنها تتكرر بوجه خاص فى البيئات التى تؤمن بعقيدة العودة للتجسد حيث تكون الأذهان متنبهة إليها، وبالتالى مدفوعة إلى ملاحظتها، وإلى تتبع على نحو أو آخر. وهذه الأحداث الهامة تساهم فى الكشف عن طبيعة الإنسان، وعن طبيعة صلته بالكون العظيم الذى يعيش فيه. وهى لم تكن تحظى بأية عناية أو إهتمام من علم النفس القديم لكنها فى العلوم الروحانية الحديثة تحظى بكل الإهتمام والبحث من زاوية تحليلها العلمى الصحيح.

إن الأستمرار والمثابرة فى التتبع العلمى ودراسة الروح سوف يلقى الكثير من الأضواء على بعض ألغاز الروح الإنسانية، التى لاتزال غامضة على بنى الإنسان فى كل مكان وزمان، كما سوف يكشف عن أبعاد جديدة من العمق والتركيب لم تكن تخطر على بال أى عالم أو باحث فى هذا المجال. وسوف أورد الأن نتائج مذهلة توصل إليها كبار الباحثين فى مجال الدراسات الروحية والتجسد:

نتائج أبحاث «كارل موللر Karl Muller»

كارل موللر (١٨٩٣م-١٩٦٨م) هو عالم سويسرى معروف بذل جهدًا كبيرًا فى دراسة الجوانب المختلفة للروح وبذل جهدًا كبيرًا فى تجميع المئات من وقائع هذا الموضوع، وفى تحليلها للخروج منها بدلالتها المنطقية. لقد أفادته خبرته فى مواصلة تحقيقاته وأبحاثه عن الروح فى زيورخ حتى توصل إلى تسجيل ظواهر التجسدات بكاميرا تعمل بالأشعة تحت الحمراء، وقد واصل هذه الأبحاث منذ بدأ نشاطة عام ١٩٦٣م حتى وفاته عام ١٩٦٨م. وقد أسس موللر جمعية للبحث الروحى فى زيوريخ وكان رئيسًا لها، كما أصبح فيما بعد رئيسًا «للأتحاد الدولى للروحيين International Spiritualist Federation» وكان موللر مقتنعًا بصحة العودة للتجسد.

يقول موللر أنه خلال تحقيقات متواصلة لمدة ثمانى سنوات جمع فيها أكثر من سبعمائة حالة قد اقتنع تمامًا بأن دعوى العودة للتجسد قد ثبتت نهائيًا، كما ثبتت دعوى دوام الحياة للروح بعد الموت. أو كما قال حرفيًا: «إذا تقبلت إحداهما ستتقبل الأخرى». كما يرى أن يكون من المفارقات أن يتقبل العلم العودة للتجسد قبل أن يتقبل الحياة بعد الموت (Reincarnation based on facts 1970) والحالات التى عنى موللر بتجميعها عن العودة للتجسد كلها من نوع حالات التذكر الواعى أى حالات «رؤى من قبل»، و«سمع من قبل» مثل التى ذكرها من قبل فى تحقيقات دكتور إيان ستيفينسون، وغيره من أساتذة التحليل النفسى خصوصًا فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد نشرها فى مؤلف قيم معروف عنوانه «العودة للتجسد مؤسسة على وقائع ـ ١٩٧٠م».

وتناول موللر هذه الحالات بالتحليل العلمى الذى يساعده فيه خبرة وافية وإلمام كاف بدراسة الظواهر الروحية المتنوعة بما فيها «التليباثى ـ التخاطر عن بعد» والتى إقتنع بصحتها، كما إقتنع بصحة سائر الظواهر العقلية. وقد قال فى ذلك: «إنه يبدو أن عدد الأشخاص ذوى المواهب الروحية يتجاوز كثيرًا عدد أولئك الذين يمكنهم أن يتذكروا بصورة واعية حياة سابقة لهم». ويمكن مبدئيًا تقدير عدد أصحاب المواهب الروحية بواحد من كل عشرين واحد (أى نسبة ٥ ٪) وبالمناسبة، يعتقد الدروز بجبل لبنان أنه فى كل عشرة الآف شخص يوجد شخص واحد يمكنه أن يحوز ذكرى واضحة عن حياة سابقة له. وحتى إذا قلنا أن هذه الأرقام مبالغ فيها، فإنها توضح أن الموهبة الروحية ـ وهى يمكن تنميتها بالتدريب ـ أكثر شيوعًا من حالات التذكر الواعى، بالإضافة إلى ذلك، فإن حدوث إنفعال ما أو إرتباط معين بحادثة خاصة قد يفتح الطريق إلى تذكر القديم.

فقد يرى هذا الشخص رؤية معينة تشير إلى ذكريات تنتمى إلى وجود سابق، بغير أن تحوز هذه الرؤي وضوحًا كافيًا، وبعض هذه الرؤى قد يكون رمزيًا، مما يؤدى إلى زيادة الصعوبة فى تكملة الصورة عن الماضى. وعندما تصل ذاكرة معينة إلى وضوح معين، فلا يتبقى من بعد شك فى العقل أن هذه المناظر التى تم تذكرها تمثل تجارب شخصية. ويطلق إيان ستيفينسون على هذه الظاهرة

وصف «التشخيص Personation». وبالإضافة إلى ذلك فإن إنفعالًا قويًا يصاحب عادة التذكر، وقد يدفع بعض الأطفال إلى المطالبة بالعودة إلى أبائهم الأقدمين، أو قد يدفع زوجة ما إلى المطالبة بالعودة إلى زوجها فى الحياة السابقة.

يقول «ديون فورتيون Dion Fortune» فى كتابه (الروح تدافع عن نفسها Psychic Self Defence) إن دخول المفاهيم الغيبية إلى العقل الواعى قد يميل إلى إيقاظ الذاكرة اللاشعورية عن إختبارات مماثلة فى حيوات سابقة. وإن الإنفعال الذى يحيط بتذكر معين قد يتحرك قبل أن تحدث الصورة الراهنة للحادثة القديمة. وهذه واحدة من أحسن الإختبارات عن صحة الذكريات المتعلقة بحيوات سابقة.

يقول موللر أن بعض الأحداث الروحية مرتبط بذاكرة عن مكان معين، قد تتحرك بلا سبب ظاهر عند زائر ما لهذا المكان. وسواء أكان (الظرف المميز للطقس) له صلة ما بتحرك «الذكرى» أم ليست له صلة ما بذلك إن بمقدورنا أن نتفهم هذه المسألة بوصفها نوعًا من التتبع للآثر الروحى فى المكان أو فى الزمان.

ويمكن أن نفترض أن هناك حالات تثير الشك فيما إذا كانت «الذكرى» ترجع إلى نفس المكان، أم إلى النفس الواقعة فى عمق ذاكرة صاحبها. وينبغى أن يواجه الموضوع بدرجات الإنفعال وبمدى وضوح الصورة، وتركيزها فى ذهن صاحبها. لقد ذكر الكثير من الباحثين فى هذا المجال أن هناك ثمة حالات لإسترجاع ذاكرة التجسد السابق حدثت بسبب إرتفاع درجة حرارة المريض فى أثناء الحمى، أو سبب التخدير الجراحى، أو بسبب الغيبوبة عقب حادث تصادم. وهى حالات على حدة إذ تتنبه فيها الذاكرة بغتة، ولكن بصورة مرضية.

إن سبب هذا التنبه المباغت هى فيما يبدو حدوث خروج جزئى من الجسد يسهل لصاحبة الإتصال بعقله الباطن وبالذكريات المختزنة فيه. ولا توجد حالات كثيرة من هذا النوع. لكنها لا تختلف كثيرًا عن حالات إسترجاع الذاكرة فى الظروف المختلفة الأخرى. ومنها حالات النطق بكلمات من لغة أجنبية عن الشخص متى ثبت أنه لم يكن واقعًا تحت هيمنة روحية تتميز عادة بغيبوبة لها أوضاع وشروط معينة.

إن بعض الحالات التى يطلق عليها حالات المس الروحى والإستحواذ قد يكون ذا صلة أيضًا بإسترجاع الذاكرة عن تجسد سابق، لأن الروح الماسة أو المستحوذة قد تكون ذات صلات عريقة بالإنسان ضحية المس والإستحواذ، بمعنى أن هذه الصلات قد يرجع العهد بها إلى تجسد سابق، لكنها لا تزال محفوظة فى ذاكرة صاحبها.

ويلاحظ موللر أيضًا أن تذكر حياة سابقة يحتمل أن يفترض نوعًا من الحساسية الروحية المرهفة أو الموهبة الروحية الخاصة. أنه ينبغى وجود قناة لربط بين الذاكرة وبين العقل الواعى سواء أكان هذا الأخير يقع فى جانب من البنيان الروحى للإنسان، أم فى موقع آخر مثل «الذاكرة الكونية».

نظرية وجود موطن الذاكرة بالجسد الأثيرى للروح

إن الكثير من الباحثين فى شئون الروح قد إتفقوا أن الذاكرة موطنها الأصلى هو الجسد الأثيرى وليس المخ البشرى. إن الجسد الأثيرى تبعًا لهؤلاء الباحثين مثل موللر وغيرهم لا يفنى بالموت كالمخ، بل يظل حاملًا وعى الإنسان الشامل الذى كان يعمل جانب منه فقط عن طريق المخ وهو الجانب الشعورى، والآخر كان يعمل عن غير طريق المخ وهو الجانب اللاشعورى، وهو يمثل الجانب الأخطر، والأعمق، والأوسع من الوعى.

لقد ذكرت هذه الدراسات أنه بعد الوفاة بوقت يتراوح فى مداه يحدث إندماج تدريجى للجانبين الشعورى واللاشعورى من الوعى، وبإندماجهما معًا يبدو الوعى السليم العادى أكثر إشراقًا، وإنطلاقًا، وصفاء، وذكاء. (انظر جزء تجارب العودة من الموت فى كتابى السابق ـ الروح، أسرار وحقائق ـ ٢٠١٤). وهذا هو الإتجاه السائد عن كبار الباحثين الروحيين وأوثقهم اتصالًا بالبحث فى صلة العقل بالمخ ومنهم «مايرز وبرود فى إنجلترا، وجيلى وأوستى فى فرنسا».

إن الإنسان العادى لا يتذكر أحداث حياته الماضية، لكنه يمكن أن يكون خاضعًا لتأثيرها بدرجات مختلفة وبأساليب متنوعة، بما فى ذلك الأمور التى قد يحبها أو

يكرهها، وربما لسبب غير ظاهر. يقول كارل موللر إنه يبدو أن قوة هذه التأثيرات تتوقف على الطاقة الإنفعالية التى لا تزال مرتبطة بجانب معين من التذكر.

وسواء كانت الإنفعالات المكبوتة تعتبر مسئولة، أم غيرها من صور الطاقة الروحية، فإن هذه الذكريات لها تأثيرها حتى فى إحداث بعض الإضطرابات العقلية. ومن الصعوبة بمكان أن نحدد أى الذكريات المتنوعة ينبغى بالتالى أن يعتبر مسئولًا فى حالة أو فى أخرى، ولماذا تتلقى هذه الذكريات بالذات الطاقة الروحية اللازمة لتحريكها دون غيرها بدلًا من أن تظل خاملة فى اللاشعور.

ومما أثار حيرة العلماء أيضًا العلامات التى توجد فى أجسام بعض العائدين للتجسد والتى تتفق مع بعض الجروح أو التشوهات التى صادفتهم فى تجسد سابق لهم، وتوجد عدة أمثلة لذلك. (انظر الفصل السابق). لذا نجدنا مضطرين لأن نفترض أن نمو الجنين فى رحم أمه لا يكون محكومًا كما هو معروف بعوامل الوراثة فقط لكنه قد يكون خاضعًا أيضًا لتأثير الروح التى على وشك أن تتجسد. فمثلًا، أشارت الأبحاث أن الموت العنيف كالقتل فى ظروف قاسية قد يحدث علامات مماثلة، وربما لأن ذاكرة الجسد الأثيرى تكون قد إنفعلت بالطاقة العاطفية التى من شأنها أن تؤثر فى نمو الجنين. وعلم النفس المعاصر يتضمن قواعد التأثيرات الروحية ـ العضوية ويتقبلها Psycho-Somatic التى تسببها الإنفعالات ومن بينها العلامات التى تظهر على البشرة تحت تأثير الإيحاء فى اثناء التنويم المغناطيسى. وأيضًا قدرة بعض اتباع المذهب اليوجى على الدخول فى حالة تشبه حالة الموت (بما فى ذلك توقف النبض ودورة الدم والتنفس). وإذا كنا نتقبل إمكانية تأثير الذاكرة فى نمو الجنين، فإن العلامات الجسدية لا تعكس فحسب ظروف التجسدات السابقة، بل قد تظهر أشكالًا رمزية (Symbolic Features).

إن الجسد الأثيرى هو الذى يعطى الهالة المحيطة بالجسد الإنسانى لونها، وهى الهالة التى يمكن لذوى الحساسية الخاصة مشاهدتها، (وبعض الأجهزة القياسية الحديثة مؤخرًا)، والتى أطلق عليها العالم الألمانى «ريخنباخ Reichenbach» (الطاقة الشاذه). وهذه الهالة يفترض إنها نصف مادية، وإن لها

بعض الوزن، بالأقل قبلما تصبح فى مرحلة انعدام الوزن عند انفصالها عن الجسد المادى شأنها شأن سفينة الفضاء عندما تصبح فى حالة إنعدام الوزن عند إنطلاقها من جاذبية الأرض أو القمر. وإنها ذات إتصال وثيق بالوظائف الحيوية للجسد المادى، ويتوقف عليها إنتاج الإكتوبلازم والطاقة الروحية المسئولة عن ظواهر الوساطة الفيزيائية.

ومنذ نشر العالم الألمانى «ريخنباخ» والباحثين الفرنسيين ومنهم بوجه خاص «ديرفيل Durville» إكتشافاتهم فى هذا الشأن فإنه يمكن العثور ولكن بعد الكثير من البحث على تحقيقات لها قيمتها فى هذا الموضوع. ويلاحظ ستيفينسون أن نطق الطفل بكلمات أجنبية عنه (كما حدث فى بعض حالات العودة للتجسد التى حققها بنفسه) يفترض الإلمام السابق بهذه الكلمات، كما يفترض قدرة خاصة على السيطرة أيضًا على أعصاب الحنجرة واللسان، والشفاه والوجنتين، فإذا ظهرت قدرة كهذه بدون تدريب سابق، فيكون علينا أن نفترض أن هذه القدرة الخاصة أتى بها صاحبها من حياة سابقة، وإنها تؤثر فى العضلات بطريقة مباشرة. وبعبارة أخرى أن هذه القدرة انتقلت عبر الجسد الأثيرى.

ويقول موللر أن تأثير الذكريات القديمة يشاهد بدرجات كثيرة من الكثافة، من مجرد الميول البسيطة إلى النفور الذى قد يستوجب الإضطراب، وهو تأثير غير مرتبط بأى فهم لمصدره، خصوصًا عند الأطفال. وقد يقدم اللاشعور عندهم بعض تفسير لذلك. وقد تكون الذكرى عن حياة ماضية، ذكرى سريعة الهرب كما يظهر فى إختبارات إرجاع الذاكرة إلى الوراء فى التنويم المغناطيسى عندما يصل المنوم مغناطيسيًا إلى حالة من الخروج من الجسد أو من النوم العميق فيفقد ذاكرته. ولذا كان الدكتور «بجوركيم Bjorkhem» يستخدم التنويم الخفيف، وعندئذ كان الشخص المنوم يتمكن من تذكر الإختبار. وكثيرًا ما كان هذا الأخير ينسى كل شىء بعد بضع دقائق.

عن تغيير الجنس بعد العودة للتجسد

يتحدث «كارل موللر Karl Moller» عن موضوع تغيير الجنس بسبب العودة

للتجسد فيقول أن عددًا من الناس لا يستسيغ فكرة العودة للتجسد بسبب إحتمال تغيير الجنس من الذكورة إلى الأنوثة أو بالعكس. ويرد على ذلك بأن الوقائع تثبت قيام هذا الإحتمال، فقد تبين بالنسبة للأطفال أن ١٦ ٪ من البنات اللائى أمكنهم أن يتذكرن شيئًا عن حياتهم السابقة تذكرن تغيرًا فى الجنس. وإن ٢٣٪ من النساء البالغات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئًا عن تلك الحياة السابقة تحدثن عنها بوصف إنهن كن فيها رجالًا لا نساء. وهو يرى أن الرقم الأول ربما يكون أقرب من الإحتمال الثانى، وإنه بالتالى فى كل مرة حالة من ست حالات للعودة إلى التجسد، تكون تلك العودة مصحوبة بتغير فى الجنس.

كما يقول موللر أيضًا أن الرجال الذين يتذكرون حياة سابقة لهم فى الجسد فى ظل الأنوثة أقل بكثير من النساء اللائى يتذكرن حياة سابقة لهن فى ظل الذكورة. وهو يعتقد أنه ربما تكون «سيكولوجية» الرجل من خصائصها أن تجعل تذكر الأنوثة السابقة أمرًا صعب المنال. وهو يقول إنه من المؤسف أن تفصيلات قليلة عن تغيير الجنس وردت فى الحالات الستمائة من عودة التجسد التى فحصها الدكتور «جون بجوركيم Jhon Bjorkhem» وفى الحالات الخمسمائة التى فحصها الدكتور «الكساندر كانون A.Canon» وفى الحالات الخمسين التى فحصها «آرنول بلوكسهام Arnall Bloxham».

والدكتور «جون بجوركيم» الذى يتحدث عنه موللر هو عالم سويدى ذائع الصيت فى الطب النفسى العلاجى ـ Psychotherapy، وأستاذ بجامعة أوبسالا Upsala بالسويد، وكان يجرى تجارب فى التنويم المغناطيسى على المئات من طلبة الجامعة وطالباتها، وعرض نتائج هذه التجارب فى كتاب له عنوانه «تفوهات التنويم المغناطيسى» ـ (استوكهلم ١٩٤٣م). أما الدكتور «آرنول بلوكسهام» فهو طبيب نفسى بريطانى له تجارب عديدة فى التنويم المغناطيسى وإختبارات إرجاع الذاكرة.

فكل هؤلاء الباحثين أشاروا إلى حالات من تغير الجنس، ويعتمد بجوركيم الذى كان يستخدم التنويم المغناطيسى لإرجاع الذاكرة أن التنويم المغناطيسى قد

تكون له مزية تحقيق هذا الهدف. وإنه عند حدوث تغير فى الجنس، فإن الشخص المنوم كان يحاول مقاومة الكشف عن جنسه السابق لكن ظاهرة تذكر القديم تكون ذات طابع تشنجى، فكانت طبيعة الجنس السابق تظهر رغم المقاومة، ويبدو الوعى الراهن عاجزًا عن التدخل لمنع كشف سر هذا الجنس السابق. وإن ذلك يثبت أن هناك «سيكولوجية آلية» تحمى طبيعة الجنس الراهن من تأثيرات الجنس العكسى عند حدوث تغير فى الجنس بسبب العودة للتجسد. ويبدو أن هذا «العازل السيكولوجى» عند الرجال أقوى منه عند النساء. ولذا فإن الرجل قلما يتحدث عن أنوثته السابقة مثلما تتحدث المرأة عن رجولتها السابقة.

ويستنتج «موللر» فى النهاية إلى أننا أدخلنا فى الإعتبار جميع الحالات التى خضعت للبحث من حالات العودة للتجسد نجد أن النسب العامة كالآتى: ٤٪ من الرجال غيروا جنسهم السابق، ٢٤٪ من النساء غيرن جنسهن السابق، وإن المتوسط ١٣٪ للجميع. وإنه رغم صعوبة تفسير هذه الأرقام تفسيرًا صحيحًا، فإنه لم يعد أى شك فى أن تغيير الجنس أمر جائز الحدوث.

وهو يعتقد أن تغيير الجنس يبدو أقرب إلى الإحتمال بعد أربعة تجسدات متتابعة فى نفس الجنس. وأن تغيير الجنس ليس بالمشكلة المفصلة، كما أن تخنث الرجل، أو إسترجال المرأة فى الحياة الراهنة ليس هو القاعدة، بل هو أمر إستثنائى.

إنه لا ريب فى أن هذه الإكتشافات المذهلة التى أخذت تظهر فى تدفق شديد خلال أواخر القرن الماضى، وفى ترابط يسترعى الإنتباه، وفى وضوح وخطورة كما يذكر الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه التجسد، تمثل ثورة ضخمة فى الكشف عن مجاهل النفس الإنسانية، وما أصعب هذه المجاهل، وهى تلقى مسئوليات جديدة على علم التحليل النفسى فى طوره الراهن. وفى نفس الوقت تفتح أبوابًا جديده لتشخيص بعض الأعراض العضوية والعقلية ولعلاجها أيضًا.

أهمية التحليل النفسى وأبحاثه العلمية فى دراسة العودة للتجسد

إن مهمة الطبيب والمحلل النفسى ستصبح بعد كل هذه الإكتشافات المذهلة

مهمة جدًا، ودقيقة للغاية لإنها تتطلب التأثير على المريض وتنويمه مغناطيسيًا ثم محاولة إرجاع ذاكرته إلى الوراء إلى ما هو أبعد من حياته الحاليه، وذلك على النحو الذى وصل إليه رائد التحليل النفسى العظيم «دى روشا De Rochas». إن معظم المحللين النفسيين حاليًا يستعينون بجهاز لتسجيل كل ما يسرده المريض فى هذا الشأن حتى إذا ما نجحت التجربة ـ يعيد على مسامعه بعد يقظته ـ كل ما تفوه به فى غيبوبته، فقد تساعد المحلل النفسى على صحة التشخيص كما تساعد المريض على سرعة الشفاء عن طريق التعرف الواعى على مصدر ما قد يعانيه من الآم نفسية بسبب الكبت فى اللاشعور.

أما بالنسبة لأثر التنويم المغناطيسى فى إستكشاف مجاهل اللاشعور فهذا الآن أمر مسلم به علميًا، وفيه يقرر الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة الأستاذ بكلية الطب بجامعة عين شمس والرئيس السابق للإتحاد العالمى للأطباء النفسيين: " يؤكد علماء النفس أن حالة التنويم المغناطيسى هى أفضل الحالات التى يمكن اثناءها إستكشاف محتويات العقل الباطن. وإذا عرفنا أنه بين كل جلسة تنويم وأخرى لا يتذكر الشخص الأحداث التى مرت اثناء جلسة التنويم، بينما اثناء جلسة التنويم ذاتها يستطيع أن يتذكر ما جرى فى جلسة التنويم السابقة، وذلك دليل على أن حالة التنويم تتيح فرصة الإتصال بالعقل الباطن. وكثير من ظواهر حالة التنويم يمكن تفسيرها بالقدرة على الإتصال بالعقل الباطن». ـ (من مؤلفه ـ فى التشريح الوظيفى للنفس ـ علم النفس الفيسيولوجى ـ ص٢٦٨ ـ طبعة ١٩٧٢).

فإذا صح أن كان للنفس حياة سابقة على حياتها الحاضرة وأن ذكريات العقل عن تلك الحياة السابقة قد إنزلقت إلى اللاشعور، فإن التنويم المغناطيسى قد يكون إذن من أفضل السبل المؤدية إلى إستعادة بعض هذه الذكريات، على النحو الذى بدأه «دى روشا» ثم تابعه فيه علماء آخرون بدرجات متفاوتة من النجاح مما ساعدهم على تقبل نظرية العودة للتجسد كأمر صحيح تؤيده الآن أدلة كثيرة معملية وفلسفية، وتحقيقات متتابعة جاءت كلها إلى جانب صحة هذا الإحتمال (دكتور رؤوف عبيد ـ فى العودة للتجسد ـ ١٩٨٧).

ومما ساعد على تقبل نظرية العودة للتجسد بالذات أن كثيرًا من الأمراض

النفسية قد يستعصى تعليله بأحداث معينة يكون قد مر بها المريض فى حياته الراهنة منذ الولادة حتى إصابته بالمرض، أو بالأدق حتى ظهور أعراض المرض النفسانى أو العصبى عليه. وكذلك أن بعض تفسيرات فرويد بالإصابة أثناء عملية الولادة بالذات أصبح غير مطابق للحقيقة وقاصرًا عن مواجهة غالبية هذه الحالات، ناهيك بمحاولة انقاذ المريض من الآمه.

ومن ذلك مثلًا مرض الخوف الذى لا مبرر له Phobia، كالخوف من المبانى الشاهقة، أو من النار، أو من حيوان أليف، أو من لون معين، أو من وسيلة مواصلات معينة، أو من مادة معينة، أو من موضوع مألوف، وهو مرض عصبى شائع فإنه قد يكون ذا صلة بإختبارات مريرة قد مربها المريض فى حياة سابقة له، وقد إنزلقت وإختفت بطبيعة الحال فى اللاشعور، مثل وفاته فى حياتة السابقة من سقوطه من مبنى شاهق، أو من إحتراقة بالنار، أو وفاته فى حادثة ما بوسيلة مواصلات معينة، ةغير ذلك مما يدعو بعض المحللين النفسيين المعروفيين ألا يستبعد تمامًا أن يكون ثمة جانب من سلوك الفرد العصبى أو النفسى قد بدأ فى حياة ماضية له.

ومن هؤلاء الباحثين والمحللين مثلًا الدكتور «دنيز كلزى Denys Kelsey» وهو عضو فى «الكلية الملكية للأطباء»، وقد ناقش هذا الموضوع فى مؤلف له عنوانه «حيوات متعددة ـ Many lifetimes» فى فصل عن «العودة للتجسد والعلاج النفسى» وفيه يقرر أن إسهام العودة للتجسد فى العلاج يجئ عن طريق الإعتراف بأن بعض العناصر النفسية كثيرًا ما يبرز من الشخصية المبكرة للإنسان. وإنه عندما وسع من نطاق مفهومه ابتدأ يدرك النقطة الأساسية وهى أن الإنسان يتجسد بالطبع الذى يكون قد حصل عليه خلال تاريخه الطويل.

كما يقول أن هذا الطبع النفسى والشخصى لم يرثه الإنسان كله، ولم يتشكل كله تحت ضغط البيئة لكنه قد تشكل عن طريق إستخدام الإنسان لحريته فى الإختيار. وأن الضغوط الخارجية لا تتسبب فى أن يغير الإنسان من سلوكه، بل أن التغيير يحدث عندما يمكنه هو أن يغير من نواياه. وإن هذا المبدأ يقع الآن فى

الأساس من مواجهته للأمراض العصبية التى تعزى إلى طبع معيب فى الشخص. كما يعتقد أن كل شخص يمكنه أن يغير من نواياه عندما يصمم على ذلك.

وكل شخص يتجه فى تقدير الدكتور كلزى إما إلى العزلة وإما بعيدًا عنها، لأن الحب الذى لا يجد إشباعًا نقيًا يتحول إلى عدم إكتراث، وإحتمالا إلى كراهية. وأثر العودة للتجسد هو تحديد هذا الإحتمال الأخير، لأن إنتهاء الحياة الأرضية لا يعنى بالضرورة وضع حد لنموذج معين من نماذج الإنفعال. ومن ثم فإن الإقتراب إلى العزلة بسبب الجفاء الذى قد يلاقيه الإنسان قد يعبر عن نفسه فى صورة قلق قد يعطى أنواعًا متباينة من الأعراض العصبية.

ويراعى فى تقدير كل ذلك أن النسيان وظيفة بيولوجية تختلف تمامًا عما نعرفه عنها. فالنسيان بمعنى المحو التام لا وجود له، لأنه لا يمكن محو أى شىء من الطبيعة، أو من الذاكرة التى تسجل دوامًا الإختبارات الطبيعية التى تمر بها، سواء أكانت سارة أم أليمة، أم محايدة إذا صح مرور أحداث محايدة بعقل الإنسان. أما النسيان بمعناه الصحيح فهو مجرد إنتقال الحادثة أو الفكرة أو الموقف من الشعور إلى اللاشعور. وهى قد تنتقل حتى فى اثناء وجود أرضى واحد بعد مضى فترة معينة عليها، كما تنزلق جميع أحداث الماضى القريب والبعيد إلى اللاشعور ـ بحسب الأصل الذى يحتمل بعض الإستثناء عند العودة للتجسد، وذلك من باب حب ورحمة الطبيعة لأبناءها، وحماية لذاكرتنا من الأهوال الجسام التى تكون قد مرت بها.

أما درجة التطور التى تكون الذات قد بلغتها عن طريق معاناة هذه الأهوال نفسها فهى حق مكتسب لها. وأما الدرس الذى تكون الذات قد وعته عن طريق هذه الأهوال فهو مخبأ فى اللاشعور، يؤدى دوره فى تنبيه الضمير إلى عدم الوقوع فى نفس أخطاء الماضى، بدرجة تتفاوت فى مداها بمقدار تطور الذات وبمقدار يقظة هذا الشعور الداخلى الدفين الذى نعبر عنه بوصف «الضمير»، والذى هو حصيلة دروس الماضى منذ أبعد أبعاده لكى يساعد الذات على شق طريقها فى المستقبل إلى أبعد مداه، مع القابلية الدائمة للغو وللتطور، لأن التطور لا تعرف له نهاية، كما لم تعرف له بداية بعد.

ولذا، فمن المنطقى تبعًا للكثير من علماء الطب النفسى والباحثين انه لا محل مطلقًا للإعتراض على مبدأ العودة للتجسد بنسيان أحداث الماضى، لأن النسيان لم يحدث إنما هى مجرد وظيفة بيولوجية نفسية محددة، وهى إنتقال اختبارات وتجارب الماضى من الشعور إلى اللاشعور، لكى نجنى من الماضى ثمرات تجاربه بأزهاره وأشواكه وأهواله، وذلك بالنسبة للإنسان العادى، وفيما عدا بعض الحالات غير المألوفة أو حالات فوق الطبيعة، ومنها بعض الحالات المرضية أيضًا.

وقد نجح علم النفس الحديث فى إكتشاف وجود العقل الباطن أو اللاشعور ولكنه لم ينجح لغاية الآن فى إكتشاف مجاهل هذا اللاشعور، أو فى رسم حدود واضحة بين الشعور واللاشعور. وإذا صح إعتبار هذا اللاشعور مخزنًا لإختبارات الماضى السحيق للإنسان خلال صراعه المرير المستمر مع تجسداته وكأن يحمل خلاصة أو ثمرة ما مر به من إختبارات سعيدة وأليمة، فإنه يكون على العلم أن يسلم بأن نظرية الوجود السبقى للإنسان تصبح على هذا الوضع أجدر النظريات بأن تفسير هذا اللاشعور على نحو منطقى وبسيط، يتحدى فى وضوحه وفى ترابطه كل التفسيرات الأخرى التى تريد أن تبدأ الوجود الإنسانى منذ ولادة الإنسان فى حياته الراهنة فحسب أو منذ صرورته جنينًا فى بطن أمه. خاصة وأن وجود اللاشعور قد ثبت تمامًا لدى الإنسان العاقل الناطق، ولم يثبت وجوده لدى الكائنات الحية الأخرى سواء أكانت من الفقريات أم غير الفقريات. ولم نجد عالمًا واحدًا يثبت مثلًا بأن الحصان أو الكلب ـ وهما من أرقى الحيوانات الفقرية ـ يملك عقلًا باطنًا أو لا شعورًا. وأنه بالتالى عرضة لأن يصاب ـ مثل الإنسان ـ بجنون العظمة أو الإضطهاد، أو بمركبات النقص المختلفة أو بالمخاوف التى لا مبرر لها، أو بإنفصام الشخصية بالمفهوم العلمى لهذه الأوصاف.

إننا ينبغى أن نضع فى الإعتبار ما ثبت من أن القدر الأكبر من حوافز الإنسان ودوافعه الحقيقية مختبئ فى هذا اللاشعور، بحيث يمكن القول بأن عقل الإنسان ينظر إليه كأنه جبل من الثلج تطفو قمته فقط فى الشعور ويختبئ معظمه

تحت الماء فى اللاشعور. فمن أين جاء هذا اللاشعور الحال بأكداس متراكمة من الحوافز والدوافع المرتبطة بداهة بالتجارب والإختبارات الحلوة والمرة الماضية وما أكثرها وما أعمق أثرها!! (كتاب التكوين الروحى وأسرار السلوك ـ د. رؤوف عبيد ـ الجزء الثانى ـ ١٩٨٢م).

أقوال الآن كاردك عن التجسد

سوف أعرض هنا جانبًا من ابحاث العالم والفيلسوف الروحى الآن كاردك Allan Kardec لأن محور بحثنا فى هذا الجزء من الكتاب هو معالجة القضايا الفلسفية المتعلقة بالخلود فى ضوء العلم الحديث. إن إنتاج آلان كاردك الفلسفى والبحثى لايزال يمثل حتى الآن مستوى من أرفع مستويات الإنتاج الفلسفى فى نطاق علم الروح، إلى حد أن غالبية من خلفوه فى فلسفة الحركة الروحية الفرنسية لم يضيفوا إليه شيئًا يذكر، فلازال معتبرًا زعيمًا للفلسفة الروحية الفرنسية، بل اللاتينية بوجه عام، ولاتزال بحوثه معتبرة من أهم المراجع التقليدية لمن يريد أن يحيط من علم الروح ببعض جوانبه الفلسفية التى أولاها عناية خاصة.

ولد هذا العالم ـ وكان اسمه الأصلى «هيبوليت ليون دنيزار ريفاى Hippolyte-Leon Denizart Rivail» بمدينة ليون عام ١٨٠٤م من أسرة عريقة أنجبت كثيرًا من القضاة والمحامين. وإتجه إلى دراسة العلوم والطب والفلسفة، وقضى جزءًا من شبابه فى سويسرا لإتمام تعليمه، ثم عاد إلى بلاده، وعمل فى التعليم ردحًا من الزمن، وترجم إلى اللغة الألمانية بعض المؤلفات الفرنسية فى التعليم وفى الأخلاق، وله مؤلفات عديدة فى التربية، وفى التعليم، وفى الرياضة، وفى اللغة الفرنسية، كفلت له موردًا ثابتًا للعيش، وقد انفق على حركة البحث الروحية كل ثروته تقريبًا وظلت زوجته تسير على نفس الدرب حتى بعد وفاته. وكانت شريكة له فى الدراسات التى كان ينظمها فى الفيزياء، والفلك، والتشريح.

كان «كاردك» عضوًا فى بعض هيئات علمية راقية من بينها «الأكاديمية

الملكية» بمدينة أراس Arras التى منحته فى سنه ١٨٣١م جائزة أدبية عن أحسن بحث وضع للإجابة عن السؤال الآتى: (ما هو أحسن نظام للتعليم، وأكثرها التئامًا مع حاجيات العصر؟). وقد أظهر أول مؤلف له وهو (كتاب الأرواح) عام ١٨٥٧م، ثم ظهر له (كتاب الوسطاء) عام ١٨٦١م، ثم كتاب (الإنجيل طبقًا للروحية) عام ١٨٦٤م، ثم (كتاب التكوين والمعجزات والنبوءات طبقًا للروحية) عام ١٨٦٨م. كما أسس «المجلة الروحية» شهرية منتظمة فى نفس التاريخ. وكان يطلق عليها أيضًا «جريدة الدراسات النفسية». ثم أسس فى أبريل سنة ١٨٦٨م «الجمعية الباريسية للدراسات الروحية» وقد كانت لها عدة فروع فى الأقليم الفرنسى.

وقد وصفه «شارل ريشيه Charle Richet» عضو أكاديمية الطب والعلوم بباريس والحائز على جائزة نوبل فى الفيسيولوجيا فى مؤلفة «فيما وراء الروح» بأنه بلا منازع أقوى من أحدث تأثيرًا نفاذًا، وقد رسم أعمق الخطوط فى علم ما وراء الروح منذ تجارب وليام كروكس الشهيرة التى ترجع إلى سنة ١٨٧١م. كما وصفه الأديب العالمى «أندريه ديماس Andre Dumas» بأنه تناول دراسة جميع الأنواع الكبرى للظواهر فوق العادية، وأحسن تقسيمها، وشيد عليها أخطر المبادئ العلمية الحديثة. وهذا الجانب العلمى فى إنتاج «الآن كاردك» هو الذى تولى تنمية وإبرازة فيما بعد بعض العلماء البارزين فى مجالات الدراسات الروحية مثل «جابرييل ديلان، كامى فلاماريون» وآخرين، مسايرين التيار العلمى القوى الذى بدأة الإنتاج القوى لـ«ريدريك مايرز، وليام كروكس» وممهدًا بذلك الطريق أمام علم ما وراء الروح بمعناه الحديث.

ومنذ عهد كاردك إلى الأن، إرتبط موضوع العودة للتجسد إرتباطًا وثيقًا «بالمدرسة الروحية الفرنسية» فلم يخرج عن هذا الإرتباط أى واحد من أعلامها وهم كثيرون. وقد نجحوا بلا شك فى تفويض أركان الإلحاد، والشك، والإنكار، وكل دعائم الفلسفة المادية التى كانت تستحوذ إستحواذًا شبه تام على مسيرة العلوم المختلفة حتى أواخر القرن المادى.

الحوار الأول بين كاردك ولفيف من الأرواح الراقية

كيف يتأتى للروح التى لم تبلغ حد الكمال على الأطلاق فى اثناء حياة الجسد أن تكمل تطهرها؟

بتحمل محنة تجسد جديد.

كيف يتأتى للروح أن تنفذ هذا التجسد الجديد؟ هل بتطورها كروح؟

أن الروح بلا ريب تتطور عند تطهرها، ولهذا الإعتبار بالذات تلزمها محنة الحياة الجسمانية.

إذن فالروح عدة وجودات جسدية؟

نعم، فلجميعنا وجودات متعددة. وأولئك الذين يقولون لكم عكس ذلك يرغبون فى الإبقاء عليكم فى نفس الجهالة التى يعيشون فيها هم أنفسهم. فهذه هى رغبتهم.

يبدو كنتيجة لهذا المبدأ أن الروح بعد أن تغادر جسدها المادى قد تتخذ لها جسدًا آخر، أو بعبارة أخرى إنها تعود للتجسد فى جسد جديد، فهل هذا هو المفهوم؟ ـ إن هذا آمر واضح.

ما هو هدف العودة للتجسد؟ ـ التفكير، والتقدم التدريجى للإنسانية، وبغير ذلك أين كانت ستوجد العدالة.

هل عدد مرات التجسد محدد، أم أن الروح تعود للتجسد إلى ما لا نهاية؟ ـ فى كل وجود جديد تخطو الروح خطوة جديدة فى طريق التقدم، وعندما تتخلص من كل أوجه قصورها، لا تعد بها حاجة لمعاناة محن الحياة الأرضية.

ـ هل عدد مرات التجسدات واحد للجميع؟ ـ كلا، إن من يتقدم سريعًا يوفر على نفسه المحن. وكل هذه التجسدات المتتابعة دائمًا متعددة جدًا، لأن التقدم يبدو تقريبًا بلا حدود.

ـ وماذا تصبح الروح بعد تجسدها الأخير؟ ـ روح سعيدة تمامًا، لأنها روح نقية.

ـ ما هو أساس عقيدة العودة للتجسد؟ ـ عدالة الخالق، والكشف عنه، لأننا نكرر بلا توقف القول بأن الأب الصالح يدع الباب دائمًا مفتوحًا لأولاده لكى يندموا. ألا يقول لك المنطق أنه يكون من الظلم أن يحرم نهائيًا من السعادة النهائية، وبلا رجعة، كل أولئك الذين لم يكن فى وسعهم التقدم؟ أليس جميع البشر أولاد الله؟ إن الرجال الأنانيين فقط هم الذين نجد لديهم الظلم، والحقد، والعقوبات التى لا تغتفر للآخرين.

تعليقات كاردك على هذه الإجابات

يعلق «الآن كاردك» على هذه الإجابات بأن جميع الأرواح تميل نحو التقدم، ولقد زودها الله بالوسائل عن طريق إختبارات الحياة الجسدية. لكنه فى عدالته يترك لها أن تنجز فى وجودات جديدة ما عجزت عن تحقيقه أو إنجازه فى إختبار سابق. وليس من العدل ولا الرحمة الإلهية أن يعاقب نهائيًا أولئك الذين يكونون قد صادفوا عقبات خارجة عن إرادتهم حالت دون تقدمهم، وفى نفس البيئة التى عاشوا فيها. وإذا كان مصير الإنسان محددًا بعد الموت بطريقة لا تقبل التعديل، فإن الميزان الإلهى لن يكون واحدًا بالنسبة لجميع البشر، ولن يكون خالى من التميز.

ويقول كاردك إن قانون العودة للتجسد، أى ذلك القانون الذى يتقبل عدة وجودات متتابعة للإنسان هو الفقه الوحيد الذى يلتئم مع الفكرة التى لدينا عن عدالة الخالق بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون فى مستوى معنوى أدنى من غيرهم، وهى الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر لنا المستقبل، والتى تستقر عليها آمالنا، لأنها تتيح لنا الوسيلة التى بها نمحو أخطاءنا عن طريق إختباراتنا المتجددة. فالعقل يقودنا إليها، كما أن الأرواح تنادى بها.

ويستطرد كاردك قائلًا: «إن الإنسان الذى يشعر بأنه أدنى من غيره يجد فيها أملًا معذبًا، فإنه إذا كان يؤمن بعدل الله، فليس له أن يؤمل فى أن يصبح مساويًا إلى الأبد لأولئك الذين كانوا فى سلوكهم أفضل منه. والإعتقاد بأن هذه

الصفة لن تحرمه إلى الأبد من الحصول على الخير الأسمى، وإنه سيتمكن من الحصول على هذا الخير عن طريق بذل جهود جديدة، هذا الإعتقاد سيكون من شأنه تقويته وتشجيعه. وكذلك ما شأن الإنسان الذى يحصل فى نهاية حياته الأرضية على خبرة متأخرة لن يتمكن من الإفادة منها؟ إن هذه الخبرة التى جاءت متأخرة لن تفقد أبدًا، بل ستكون مصدر نفع له فى حياة جديدة». ـ (ينتهى تعليق كلارك).

الحوار الثانى بين «الآن كاردك» ومجموعة الأرواح المستنيرة

ـ هل جميع وجوداتنا الجسدية تتم كلها على الأرض؟

كلا ليست كلها، بل فى العوالم المختلفة. والحياة على الأرض ليست هى الأولى ولا الأخيرة، بل هى من أكثف صور الحياة المادية، ومن أبعدها عن الكمال.

ـ هل تمر الروح فى كل تجسد جديد من عالم إلى آخر، أم أن بمقدورها أن تمر بعدة تجسدات فى نفس العالم؟

بمقدورها أن تحيا مرات متعددة فى نفس العالم، ما لم تحصل على تقدم أوفر مما يتيح لها المرور إلى عالم اسمى.

ـ إذن نحن بمقدورنا أن نظهر عدة مرات على الأرض؟

طبعًا.

ـ وهل بمقدورنا أن نعود إليها بعد أن نكون قد عشنا فى عوالم أخرى؟

بلا شك إنه سبق لكم العيش أما بعيدًا عن الأرض وأما عليها.

ـ وهل من الضرورى العودة للعيش على الأرض؟

كلا، ولكن إذا عجزتم عن التقدم عليها فمن الجائز أن تذهبوا إلى عالم آخر ليس أفضل منها، بل قد يكون أسوأ.

ـ وهل توجد ميزة فى العودة للحياة على الأرض مرة أخرى؟

لا توجد ميزة خاصة، ما لم تكن العودة لتحقيق مهمة معينة، وعندئذ يتقدم الإنسان فيها كما يتقدم فى غيرها.

ألا يكون الإنسان أوفر سعادة إذا ظل روحًا؟

كلّا، لأن الإنسان سيتوقف عن التقدم، مع إنه يرغب فى التقدم نحو الله.

ـ هل يمكن للأرواح بعد أن تكون قد تجسدت فى عوالم أخرى أن تتجسد على الأرض مع إنها لم تظهر عليها أبدًا من قبل؟

نعم كشأن تجسدكم أنتم فى العوالم الأخرى، فإن جميع العوالم متضامنة، وما لا يتم إنجازه فى عالم معين يتم إنجازة فى عالم آخر.

إذن فقد يوجد على الأرض أشخاص متجسدون للمرة الأولى؟

يوجد كثيرون، فى درجات متفاوتة.

ـ هل يمكن بوسيلة ما التعرف على الروح التى تظهر متجسدة لأول مرة على الأرض؟ ـ إن ذلك سيكون عديم الجدوى.

ـ هل يلزم للوصول إلى الكمال وإلى السعادة القصوى التى هى الهدف النهائى لجميع الأشخاص المرور بالتجسد فى جميع العوالم الموجودة بالكون؟ ـ كلا لأنه توجد عوالم كثيرة فى نفس المستوى ولن تتعلم فيها الروح شيئًا جديدًا.

إذن فكيف تفسر تعددات الوجودات فى نفس العالم؟ وبنفس الطريقة؟ ـ إن الروح يمكنها فى كل مرة أن تجد نفسها فى مراكز متفاوتة تمامًا، فتمثل لها ـ بنفس المقدار فرصًا متنوعة للحصول على الإختبار.

ـ هل بمقدور الأرواح أن تحيا جسمانيًا فى عالم أدنى نسبيًا من العالم الذى سبق لها العيش فيه؟ ـ نعم، عندما يكون عليها أن تؤدى مهمة للمساعدة فى تحقيق التقدم، وعندئذ تتقبل بسرور متاعب هذا الوجود، لأنه يتيح لها سبيلًا للمزيد من التقدم.

اليس من الجائز أن يحدث ذلك للتكفير، وأن يرسل الله الأرواح المتمردة إلى عوالم أدنى؟ ـ بمقدور الأرواح أن تظل متوقفة عن التقدم، لكن ليس بمقدورها التقهقر للوراء، وعقابها يكون عن توقفها عن التقدم، ويتعين عليها أن تستعيد الوجودات التى أساءت إستخدامها، وذلك بما يناسب طبيعتها.

ـ ما هى الأرواح التى يتعين عليها أن تستعيد نفس الوجود؟ ـ هى تلك التى فشلت فى مهمتها، أو فى إختبارها.

ـ وهل الأرواح التى تقطن عالمًا مشتركًا وصلت كلها إلى نفس درجة التقدم؟
ـ كلا، بل توجد أرواح متفاوتة فى تقدمها، كما هى الحال على الأرض.

عند المرور من هذا العالم إلى عالم آخر هل تحتفظ الروح بنفس الذكاء الذى كان لها هنا؟ ـ الذكاء بلا ريب لا يفقد لكن من الجائز أنه لن يملك نفس الوسائل للتعبير عن نفسه، وذلك يتوقف على مدى تفوقها، وعلى حالة الجسم الذى سيكون لها (لأن الجسم يؤثر فى الذكاء، كما أن الذكاء يؤثر فى الجسم).

ـ هل عند العبور من عالم إلى آخر يلزم أن تمر الروح دائمًا بطفولة جديدة (عندما ترتدى جسدًا ماديًا جديدًا)؟ ـ الطفولة إنتقال ضرورى لكن لا يلزم أن تكون الطفولة حمقاء فى كل عالم بمقدار حماقتها عندكم.

ـ هل تختار الروح عالمها الجديد الذى يتعين عليها أن تقطنه عند العودة للتجسد؟ ـ ليس دائمًا، لكن بمقدورها أن تطلب هذا العالم الجديد، ويمكنها أن تحصل عليه إذا كانت تستحقه، لأن العوالم غير متاحة للأرواح إلا بحسب مدى تطورها.

وإذا لم تطلب الروح شيئًا، فما الذى يحدد لها ذلك العالم الذى ستتجسد فيه؟ ـ درجة تطورها.

ـ هل الحالة الجسمانية والمعنوية للكائنات الحية تظل كما هى فى كل مرة؟
ـ كلّا لأن العوالم نفسها خاضعة لقانون التطور، وكلها بدأت مثل عالمكم فى حالة دنيا، والأرض نفسها سيلحقها تحول مماثل، وعندما يصبح الناس عندكم طيبين ستتحول الحياة عندكم إلى جنة أرضية.

ويعلق كاردك على هذا القول بأن الأجناس التى تعمر الأرض حاليًا ستختفى يومًا، وستحل محلها كائنات أخرى أرقى منها، وتلك الأجناس المتطورة ستخلف الجنس الحالى، كما أن الجنس الحالى حل محل أجناس أخرى أكثر بدائية.

ـ هل توجد عوالم تعيش فيها الأرواح بلا أجساد مادية، ولا يغلفها سوى الجسم الأثيرى؟ ـ نعم، وحتى هذا الجسم الأثيرى قد يصبح رقيقًا إلى حد أن يبدو كما لو لم يكن له وجود بعد، وتلك هى حالة الأرواح النقية.

ـ إذن فلا يوجد حد فاصل بين حالة التجسدات الأخيرة وحالة الروح النقية؟

ـ هذا الحد الفاصل لا وجود له، والفارق يمحى تدريجيًا ويصبح غير محسوس.

إن هذا التوافق والوضوح الظاهر فى هذه الإجابات وتوافقها مع التحقيقات والأبحاث الجادة التى قام بها علماء عديدون فى عدة دول والتى قدمت نموذجًا لها فى ما سبق وكلها تتوافق فيما بينها توافقًا ملفتًا للنظر، وكان من المستحيل توافره، أو توافر بعض جوانبه لو كان الأمر عبارة عن محض إفتراضات، أو مزاعم مرتجلة يسوقها كل باحث على مزاجه الخاص.

موقف علم النفس الحديث من ظاهرة التجسد

رأى علم النفس فى ظاهرة التجسد عمومًا حتى الآن هو إعتبارها أحد الأعراض أو الحالات المرضية، وعلى الرغم من إن بعض العلماء والأطباء النفسيين كما سبق أن ذكرت يميل إلى إعتبار إنها تقع ضمن الظواهر الغامضة أو الما ورائية التى تتطلب المزيد من الدراسة والبحث والتى لم يضع العلم البشرى حتى الآن التفسير العلمى الكامل لها ولكن يحتمل تصديقها (مثل ستيفينسون). لكن إجمالًا، لا غالبية المختصين فى الأعصاب وعلم النفس يعتبرها من جملة أعراض سيكوباتية سببها لجوء اللاوعى لحيلة «الهروب النفسى» من ضغوط واقعية يواجهها الإنسان فى حياته أدت به إلى إختلاق واقع إفتراضى آخر يلجأ إليه على إنه حياة أخرى عاشها من قبل أو روح لآخر حلت فى جسده.

لكن المشكلة الحقيقية فى هذا التفسير الموضوعى المقنع تتمثل فى الكثير من الحالات المسجلة علميًا كما سبق أن ذكرت أمثله لها من قبل والتى تم التأكيد فيها على أن رواية هؤلاء الناس والأطفال «المرضى» كانت صحيحة، وكانت مفصلة ودقيقة عن أحداث عاشها آخرين ما كان بالإمكان أن يرويها أحد إلا قلة ممن عاصروها، والكتب والمؤلفات كما سبق أن ذكرت كثيرة فى هذا الموضوع. فهل من المقنع أن نقول أن حيلة الهروب اللاشعورى من ضغط الواقع أو الخلل العقلى أو العصبى، هل يمكن أن تؤدى جميعًا إلى الإستعارة بواقع حقيقى فعلى جدًا لإنسان آخر مات من قبل وعاشه بكل تفاصيله؟!! وأعتقد شخصيًا إن الإجابة بالطبع بالنفى.

فالواقع إنه من خلال دراستى للذاكرة والوعى الإنسانى فى مواضيع بحثية كثيرة طوال السنوات الطويلة الماضية، وإنطلاق من نتائج آخر الدراسات فى أبحاث الذاكرة والوعى الإنسانى ودراسات الباراسيكولوجى والميتافيزيقا ودراسات الوعى وعلاقتة بالزمان، فإن الخلاصة من كل هذا المسار البحثى النظرى تقول بأن الذاكرة البشرية لا تفنى بعد الموت الجسدى، فهى تدخل إلى بنية الكون أو ما يسمى بالبنية الفضائية رباعية الأبعاد (4D Spacetime)، وهذه الذاكرة البشرية تدخل البنية الكونية غالبًا فى صورة الطاقة الروحية الأثيرية التى تسبح فى الفضاء الكونى المسمى بالبرزخ. هذه البنية الروحانية الـ«تحت فوتونية» لو صحت تسميتها كذلك، تخضع لنوع جديد من القوانين لم تكتشفها الفيزياء النظرية بعد، لكن بعض تطبيقات الفيزياء إستثمر هذه القوانين الغامضة ولعل أهمها ظاهرة «الرنين الكوانتى Quantic Resonance» الذى يعتبر الأساس فى تشكيل أشعة الليزر وشرح طبيعة الرنين الغامض الذى يحدث بين الفوتونات الخاصة بطاقة الليزر. هذا ما أطلق عليه العلماء تسمية الطاقة التحت فوتونية العابرة للزمان والمكان، خارج هيكل الفضاء المكانى التقليدى حسب أبحاث العلماء (أهارنوف، أر كانى، ديموبولس) عن الوجود قبل الخلق والوعى والزمان. فقد إستنتجوا أن هذا النوع من فوتونات البنية الروحانية المحملة بالذاكرة والوعى وحتى طاقة توارد الخواطر بين الأدمغة البشرية أو حيوانية، تجرى ضمن هذا النسق فى طاقة ما وراء المكان،

أو ما يسمى بال «الزمكان». ولكن هذه الأبحاث مازالت فى أطوارها الأولى ولم تعطى بعد النتائج والتفسيرات النظرية الكاملة للتكوين التفصيلى الخاص بالروح والوعى والذاكرة الإنسانية.

وأخيرًا، هل أثبت العلم أن التقمص والتجسد الروحى حقيقة؟

إن كل الدراسات والأبحاث الطويلة والعديدة التى أجراها العلماء للإجابة والبحث عن تفسير لظاهرة التجسد، منهم من وجد أو لم يجد تفسيرًا واضح، فأخذتهم الحيرة حول وجود دلائل حياة سابقة، فمنهم من إقتنع وتبنى نظرية التقمص بالأرواح ومنهم من إنتقد ولم يقتنع.

إن الكاتب والمؤلف والعالم الأمريكى «رونالد هابارد»، وهو المؤسس الحديث للأبحاث العلمية التجريبية الخاصة بنظرية التقمص، والذى واجه نقدًا كبيرًا من كل الأوساط العلمية المحيطة به، لأنه قام بتجارب حقيقية وأوجد أدلة على وجود حياة سابقة غير التى نعيشها، لكن «رونالد هابارد» ليس الوحيد الذى أعطى للتقمص جزءًا من المصداقية فى السنوات الأخيرة، فقد إشترك بفكره مع النظريات العديدة حول إنتقال الأرواح من جسد لآخر، التى تشاطره وجود الدليل على الحياة السابقة، وقد سبق أن إستعرضت بعضًا من هذه النظريات والعلماء العديدين الذين قاموا بها فى القرنين الماضيين، منها ما هو علمى أو روحانى أو فلسفى.

ولكن التجسد والتقمص بالأرواح واجه العديد من الإنتقادات العلمية الجادة، وأهمها النظرية الفيزيائية العلمية التى تقول أن كل شىء مكون من طاقة وكتلة، فالطاقة هى الروح والكتلة هى الجسد، ومتى إفترقًا لا وجود للحياة أو للنشاط الدماغى (أى الذاكرة)، ومتى اجتمعًا وجدت الحياة، وإن العقل مرتبط بالحياة والذاكرة جزء منه وتفنى بفنائه، وبالتالى بعد الموت لا وجود للذاكرة، إضافة إلى أن بعض الشعوب أو الديانات التى تعتقد بالحياة الواحدة تعتقد بأن رهبة الموت لا يمكن أن تبقى على شىء من الذاكرة أو الذكريات المتعلقة

بالحياة. ومتى إفترقت الروح عن الجسد تفنى الحياة، ويذهب الجسد للتراب والروح لخالقها لتلقى حسابها!

قد لا يختلف العلماء على نظرية الطاقة والكتلة، ولكن العلماء والذين يؤمنون بالتجسد يستندون إلى أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من عدم، وأن لها ذاكرة خاصة، وبالتالى عند الموت تترك الروح الجسد لتدخل جسدًا غيره. أما العلماء المؤمنون بالنظرية الإجتماعية تعزى بوجود التقمص والتجسد إلى ما يحدث فى هذه الحياة وليس له علاقة بها، كالأشخاص الذين تراودهم أحلام أو كوابيس عن أشخاص أو حوادث معينة تخص حياة غير التى يعيشها الشخص، وكذلك تأثير الحياة الماضية على الحياة الحالية، كالخوف من أماكن أو أشخاص أو أوقات معينة، وبعض الحالات التى تصيب الإنسان وليس لها سبب مباشر فى الحياة الراهنة.

أما النظرية العلمية الحديثة لتفسير التقمص والتجسد، فتعزى تلك الظاهرة إلى مبدأ هام معروف إختلف عليه الكثيرون، وهو أن «عقل الإنسان الحديث الولادة ليس صفحة بيضاء»، وهى تتفق مع النظرية الاجتماعية والتى تنص على وجود أشخاص يخلقون ومعهم بعض المعلومات وقدر من الذاكرة عن تعاليم لم يتعلموها بعد أو ليس لديهم القدرة على تعلمها مبكرًا، كالأطفال الذين يسبقون أقرانهم فى التعليم والنطق أو حالات الذكاء الغير طبيعى، وخصوصًا حفظ اللغات والعلوم الرياضية، ومنهم من سبق أساتذته ومعلميه وهو فى سن لا يسمح له حتى بإستيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات.

وقد أشارت الدراسات التى أجراها «هارباد» بأن الحالة العقلية الذهنية قد تعود أحيانًا إلى ملايين السنين وإلى كواكب أخرى، وقد يجد البعض ذلك أشبه بأفلام الخيال العلمى، ولكن هذه حقائق موثقة ومثبتة بالأبحاث العلمية الرصينة، بل إنها تعتبر أهم النتائج البحثية التى تم التوصل إليها مؤخرًا فى هذا المجال. أما النتيجة الأخرى التى تم التوصل إليها مؤخرًا بالأبحاث العلمية هى أن من يتذكرون حياتهم السابقة هم الذين يعيشون أوقات عصيبة أو يعاصرون

حوادث شخصية أو عالمية عظيمة، كمن يشهد حروبًا أو كوارث، وخاصة الذين يموتون بشكل مروع كالسقوط من قمة عالية أو حادث سير مؤلم، وخصوصًا الذين يموتون بشكل وحشي وقاسي كمن يموت تحت التعذيب أو شنقًا أو تحت المقصلة وما شابه ذلك. وأضاف «هابارد»: «إن أهم ما يميز من يتذكرون حياتهم السابقة هو القناعة والرضى بما قسمت الحياة لهم ونصيبهم منها، وإن الأغلبية لا يخافون الموت ويتمتعون بحدس قوى وذكاء عالى ويعانون أحيانًا من الآم فى الرأس أو صداع يتزامن مع موقف أو ذكرى أو تاريخ معين يخص الحياة السابقة».

إن العلماء الذين يؤمنون بالتجسد يقولون أنه من الممكن ألا تكون حادثة الموت وحيدة، قد تتكرر لعدد من المرات، فبعض الأشخاص ممن خضعوا للتجارب تحدثوا عن أكثر من ٧ أجيال عاشوها سابقًا متفاوتة فى الزمان والمكان والجسد الذى سكنتة الروح (ذكر أو أنثى) وكل ما ذكر فى هذه الأبحاث كان موثقًا بطريقة علمية، إذن، قد اثبت العلم بطريقة واضحة أنه توجد أسس صحيحة واضحة لظاهرة التجسد وإنها موجودة بشكل أو بأخر، ولكن ما يبطئ وضع التصوارات النهائية لهذه الظاهرة الإنسانية الروحانية الفريدة بأسلوب علمى مقنن هو المقاومة العقائدية والدينية والإجتماعية الشديدة لهذه الظاهرة، والمتوقع لها بالإنحسار أمام التقدم العلمى المذهل فى السنوات الأخيرة الذى حققته علوم أبحاث الروح والماورائيات والباراسيكولوجى.